

صلاة الكفرة وتجنّي الكافرين

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

صلاة الدجل والتبخير والتبجيل مهما كثرت أو رُدّدت هي طقوس رخيصة من أجل مآرب ذاتية. حتى أن الصلاة الحقّة تبقى ناقصة إن لم تقترن بالأفعال الحسنّة التي أوّصت بها الكتب والشرائع وأريق من أجلها دم الآلاف من الرسول والقديسين والشهداء الأبرار. إن صلاة التبخير والتملق هي صلاة الجهلة والمتلونين والوصوليين، إنها كلمات تُردّد إما عن خوف أو جهل دون معنى أو عن خبث من أجل التّمويه والتخفي. هذه فروض كلاميّة مفرّغة من معانيها يلجأ إليها من طلب لنفسه منفعة شخصيّة على حساب الكرامة والقيم، ومن أراد التخفي والهروب من الشهادة للحق. إنها التزام صوري وتطبيق حرفي لأنماط حربائيّة بالغالب دون فهم معناها، ودون معرفة مغزاها أو وعي عواقبها على الآخرين.

الصلاة الحقيقيّة غير ذلك، فهي تواصل كامل مع الله ومع مخلوقاته واحتياجاتهم ومعاناتهم وأفراحهم، وتخطب وتكالم وتعاتب وتلاقي وشهادة قد تصل إلى حدّ تقديم الذات قرباناً دون تردد أو خوف. الصلاة الحقّة شهادة حب وعطاء مقرونة بأعمال ترضي الرب وتجل كرامة الإنسان الذي خلقه على صورته وقبل أن يُصَلب ابنه الوحيد من أجل خلاصه وتحريره من عبودية الخطيئة الأصليّة. إنها التزام كلي بما أوّصى به الخالق في كتبه لجهة الخير والمصلحة الإنسانية. أما رجل الدين المتخفي بثياب الحملان الذي يستغل الصلاة لغير رضى الخالق وخدمة أخيه الإنسان فهو ذئب كاسر من الواجب فضحه وكشف ألاعيبه لمنعه من إيّهام الآخرين بتقواه وقداسته وحسن نواياه. هذا النوع من البشر حربائي ووصولي في تصرفاته، راسبوتيني الهوى، يوادصي التفكير، وإبليسي الممارسة حتى وإن أمضى ليله ونهاره راکعاً خاشعاً مكرراً فرائض الصلاة المفرّغة من قداستها.

أما لماذا الكلام عن الصلاة في هذا الزمن الأغبر الذي ينطبق عليه مثلنا اللبناني الجبلي "بأيام المحل بنتنط العنزة على الفحل" فلأن المقاييس الوطنيّة قلبت، ومعايير الوفاء والصدق والشهادة للحق عُهرت وأمست ألعوبة بيد جماعة كفرت بكل القيم ولم تترك فضيلة إلا وتاجرت بها، فوصل كفرها إلى أن يمنع رجل دين ماروني في كندا المؤمنين من الصلاة على أنفس موتاهم من الشهداء، وتحديداً الشهيد الرئيس بشير الجميل ويحطم صورة هذا الرمز اللبناني الكبير على باب الكنيسة. ومن ثم يدعي ملكية الكنيسة ويطلب من الشرطة منع عشرة من أعضائها من الدخول إليها كونهم يعارضون توجهاته السياسيّة المستوردة. إن هذا الكاهن ادعى ملكية الكنيسة كنيسة الرب يسوع واتهم أبناء جاليتيه بالإرهاب والقتل والتفجير محرّضاً الحكومة

الكندية والشعب الكندي ضدهم من خلال أكبر الإذاعات في كندا، فهل هناك هرطقة أكثر من ذلك؟ إن الخطاب السياسي الراجح في لبنان منذ العام ١٩٩٠ وأيضاً في بعض بلاد الانتشار هو خطاب صلاة الجهلة والكفرة. لقد أصبحت غالبية القيادات الزمنية والروحية كالبيغاوات تماماً تردد صباحاً ومساءً عبارات المديح والثناء للقوى الغربية المهيمنة على كافة مفاصل البلد من حكم وأمن وسياسة ودفاع واقتصاد وقضاء وتعليم وسوق عمالة والخ. فكلما نطق مسؤول أو سياسي أو رجل دين راح يشيد بكرم وتضحيات الشقيقة وبافضالها وبحسنات ترابط المسارين والمصير، وبادر إلى رش قيادتها بآيات التمجيد والتهليل والتعظيم والتبخير وكأنهم جميعاً في معبد مقدس يؤدون فرائض صلاتهم. فهؤلاء يتسابقون على التنازل والقبول والانصياع والاجتهاد والتفسير والأهم على تزوير إرادة الناس والواقع ومعهما التاريخ. إن حب هؤلاء للمذلة عظيم كما أن غرامهم بتقبيل الأعتاب قتال. فطبقاً لشرائعهم وطقوسهم إن كل مطالب باسترداد السيادة والقرار الحر والاستقلال هو خائن وعميل. يريدون من الشعب التخلي عن جذوره وهويته وحضارته وتغيير حتى جلده. يريدون منه أن يصلي للمحتل ويسبّح بحمده، وإلا فالويل والثبور ومعهما السكاكين والسواطير والعصي والاتهامات والحرم!!! لقد أحبوا الاتكالية والخنوع والمذلة، ولم التعب والتفكير طالما هناك من يفكر ويخطط بالوكالة عنهم. إننا براء من صلاتهم هذه، إنها صلاة الجهلة والكفرة وفاقدية الكرامة والعزة، فلنا ديننا ولهم دينهم. اللبناني الأصل ما صلى مرة لغير خالق الأكوان جل جلاله، وما ساوم يوماً على مقدساته الوطنية، ولا تنازل تحت أي شدة عن قيمه وأخلاقه، وما تعود إلا حب أرضه المقدسة المحبولة بدم وعرق أجداده وأحفاده.

إن من يتلون مرة يتلون باستمرار، ومن يرتضى الصلاة لغير رب الأكوان سيرتضي الصلاة حتى للشيطان إن كان في ذلك مصلحة له.

إن من يعمل لغير مصلحة وطنه هو كمن يصلي لإبليس وهذه صلاة ما تعودها أحرار وطن الأرز، فمن له أذنان صاغيتان فليسمع.